سلسلة

من علماء الإسلام

٣

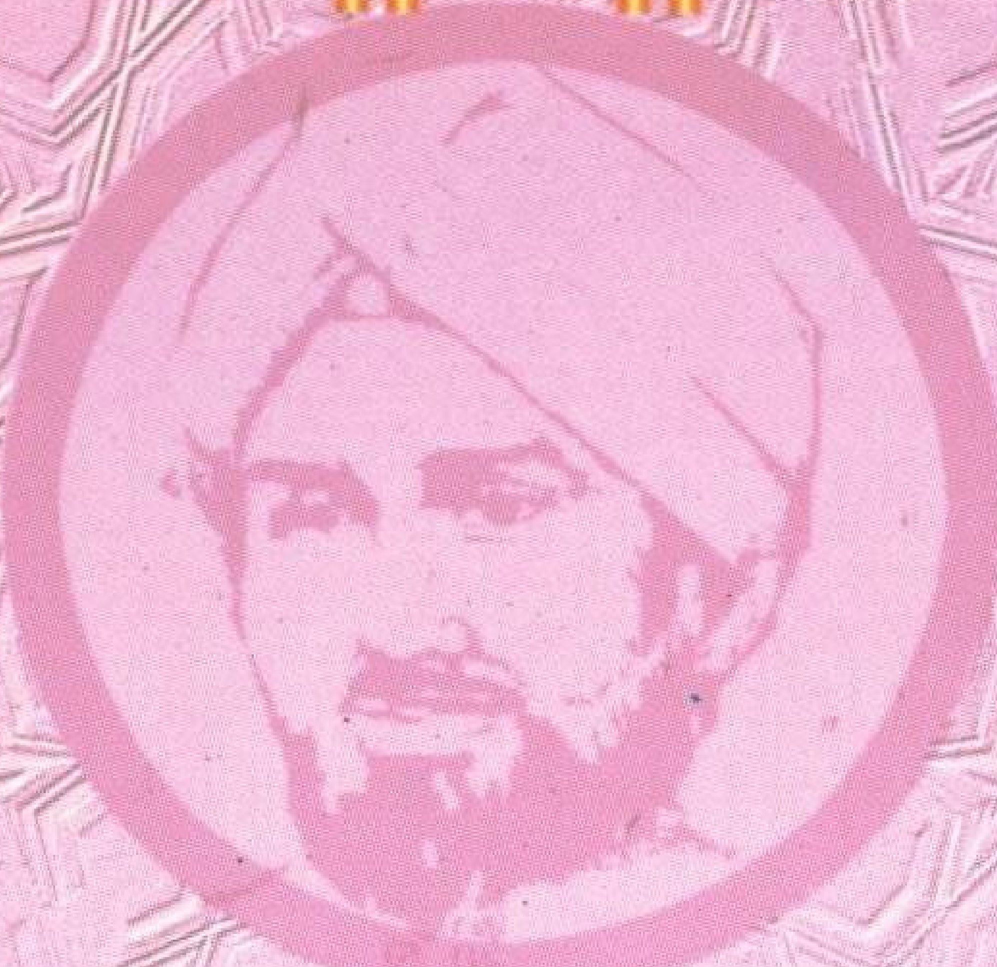

الإمام أحمد بن حنبل

(صاحب المسند)

تأليف

إيهاب سعيد النجمي

أحمد سعيد النجمي

إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع

سلسلة من علماء الإسلام

٣

الإمام
أحمد بن حنبل

(صاحب المسند)

تأليف

إيهاب سعيد النجمي

أحمد سعيد النجمي

جلس المهند في حجرته قلقًا حيرانًا ...

وبعد قليل قام وأخذ يمشي في الحجرة ذَهابًا وجِيئةً ...

ثم خرج من الحجرة وذهب إلى أمه ...

وقال لها : يا أماه إن أبي تأخر كثيرًا اليوم .

أم المهند : لا تقلق يا بُنَيَّ ، فهو قد ذهب لزيارة صديقه وسيأتي إن شاء الله تعالى ولن يتأخر .

المهند : أخشى أن يتأخر فأنام فلا أسمع منه قصة اليوم ، وقد وعدني بها أمس .

أخشى ذلك يا أمي .

أم المهند وهي تضحك : لا تقلق يا بني إذا تأخر فسأحكيها أنا لك .

المهند : إذن احكيها أنت يا أماه .

أم المهند : قد قال لي إنه يريد أن يعرفك بعَلَمٍ [١] من أعلام الفقه الإسلامي .

المهند : أنا أتشوق إلى معرفته ، بالله عليك احكيها لي .. احكيها الآن ..

سمع المهند طَرْق الباب ..

أم المهند : من بالباب ..؟

الطارق : أنا والد المهند يا أم المهند .

---

(١) العَلَم : المشهور .

المهند فَرِحًا مسرعًا نحو الباب يفتحه ويقبل يد والده

ويقول له : لماذا تأخرت هكذا يا أبتاه ..؟ ولماذا لم تقل لي إنك ذاهب لزيارة صديقك ؟ ولماذا لم تحكِ لي القصة هذه الليلة ؟ ولمـ ...

الأب : المهند ماذا بك يا بني ؟! اصبر حتى أجيبك عما سألت سؤالاً سؤالاً

المهند : لا ، لا تجبني ، ولكن احكِ لي القصة مباشرة فأنا أَتَحَرَّقُ شوقًا (١) لسماع شخصية جديدة كما وعدتني يا أبي .

الأب : على الرُّحب والسَّعة يا بني .

المهند : إني أعرف عمن ستحدثني الليلة .

---

(١) أَتَحَرَّقُ شوقًا : يشتد بي الشوق .

الأب : ومن أدراك يا مهند ..؟

المهند : قالت لي أمي إنك ستحكي لي قصة عالم من علماء المسلمين في الفقه ، من هو يا أبي ..؟

الأب : نعم يا بني ، هو كما قلتَ ...

إنه الفقيه العالم الإمام " أحمد بن حنبل " .

المهند : أين وُلِد وكيف نشأ يا أبي ؟

الأب : كانت ولادة أحمد بن حنبل في شهر ربيع الأول سنة ١٦٤ هـ وكان من أسرة عربية ، فقد كان عربيًا من جهة أبيه ومن جهة أمه .

المهند : وماذا أيضًا يا أبتاه ...؟

الأب : نالت أسرته مجدًا عريقًا في الدولة الأُمَوية والعباسية .

المهند : وكيف كان هذا يا أبتِ ...؟

الأب : كان جده واليًا في إحدى الولايات بخُراسان وكان أبوه قائدًا من قواد الجيش العربي العباسي .

المهند : معنى هذا يا أبي أن أسرته كانت تعيش في خُراسان ؟

الأب : نعم يا بني ، ولكَ أن تعلم أن خُراسان هذه أحد أقاليم وسط آسيا الإسلامية . ولكن لم يولد الإمام أحمد بخُراسان .

المهند : وأين كانت ولادته إذن ؟

الأب : كانت ولادته ببغداد .

المهند : بغداد ؟! الأب : نعم ،

بغداد عاصمة الخلافة

الإسلامية آنئذ

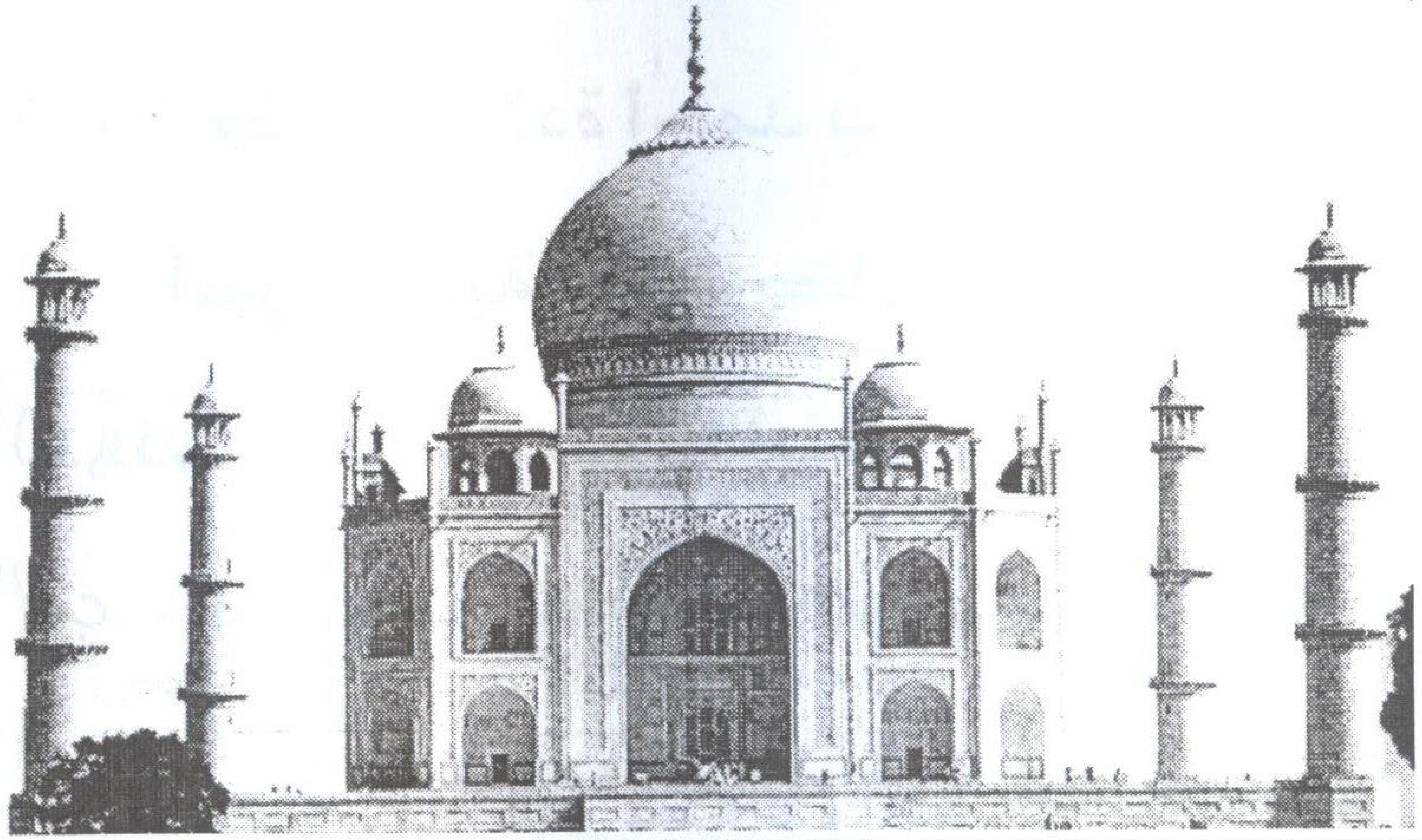

المهند : وكيف كانت حياته يا أبي ؟

الأب : ابتدأ الإمام أحمد حياته بحفظ القرآن الكريم ثم طلب الفقه فطلبه على يد القاضي الإمام أبي يوسف قاضي الدولة العباسية وقتها ، وبعد أن أخذ من الفقه حظًا وافرًا من أبي يوسف وغيره اتجه إلى الحديث .

الأب : أتدري كم كان عمره في ذلك الوقت وهو يطلب الحديث يا مهند ؟

المهند : كم كان يا أبي ؟

الأب : كان في نحو الخامسة عشرةَ من عمره .

المهند : يا الله ...! خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً فقط ؟!

الأب : نعم يا بني ، والأغرب من هذا أنه أحس أن المحدِّثين [1] في عصره قد تفرقوا في الأمصار فاتجه إلى الرحلة ليتلقى العلم عنهم مباشرة فرحل في عام ١٨٦هـ إلى البصرة وفي العام التالي رحل إلى الحجاز وفيها كان أول لقائه بالشافعي رضي الله عنه ثم رحل إلى الكوفة ثم إلى اليمن .

المهند : يا لها من رحلات شاقة يا أبي !

(١) المحدثين : الذين يروون أحاديث رسول الله ﷺ

الأب : نعم يا بُنَيَّ ، ولكنها كانت في طلب العلم .

المهند : حقًا يا أبي ، ففي سبيل الله تهون النفس و يَرْخص النفيس .

الأب : طاف الإمام أحمد في الأقاليم الإسلامية طالبًا للحديث لا يستكثر التعب يحمل حقائب كتبه على ظهره وقد رآه أحد عارفيه فقال له :

(مرةً إلى الكوفة ، ومرةً إلى البصرة ، إلى متى ؟! ..)

المهند : وماذا قال له يا أبي ؟

الأب : لقد قال له كلمة لو يعلمها الناس اليوم لأكبُّوا [١] على العلم ينهلون من معينه [٢] الذي لا ينضب [٣] .

---

(١) أكبُّوا : أقبلوا عليه بنهم شديد (٢) معينه : الماء الصافي للشرب (٣) ينضَب : يفرغ وينفد

المهند : ماذا قال يا أبي ؟

الأب : لقد قال له (مع المِحْبَرَة [1] إلى المقبرة) .

المهند : حقًا ما أجملها من كلمة لا يقولها إلا من ذاق حلاوة العلم والتعلم

الأب : هذه المِحْبَرة يا ولدي هي التى دونت حديث رسول الله ﷺ فقد كان الإمام أحمد في سعي دءوب [2] لجمع حديث رسول الله ﷺ وتدوينه .

المهند : قلتَ لي يا أبي في بَدْءِ حكايتك إنه كان فقيهًا ولم يكن محدثًا .

الأب : كان الإمام أحمد يا بُنَيَّ في جمعه الآثار يجمع الأحاديث المروية عن

(١) المحبرة : دون الحبر

(٢) دءوب : مستمر

رسول الله ﷺ ويجمع أعمال الرسول وتقريراته وما يقرأ أصحابه عليه ويجمع لأجل هذا أقوال بعض التابعين وفتاواهم ، لقد ابتدأ حياته طالبًا للفقه ثم كان مع جمعه للحديث غير منقطع عن الفقه بل كان يَقْبِسُ من فقهاء عصره فأخذ عن الشافعي منهجه في طلب الأحكام وهو علم الأصول وكان وهو ينقل السنة ينقل أعمق الفقه [(١)] من مصدره .... ومن الطريف يا بني أن تعلم أن الإمام أحمد كان يتقن اللغة الفارسية [(٢)] .

---

(١) أعمق الفقه : أدقه وأخفاه .

(٢) الفارسية : هي لغة من اللغات الإسلامية يتحدث بها الآن الشعب الإيراني .

المهند : ماذا ...الفارسية يا أبي ؟!

الأب : نعم ، يا بنيَّ .

المهند : يا له من عالم واسع الثقافة شديد المعرفة !! .

المهند : لقد قلت لي يا أبي : إن الإمام أحمد أَكْثَرَ مِن رحلاته في طلب الحديث .

الأب : نعم يا بني ، ما بين البصرة والكوفة واليمن والحجاز وغيرها من الأمصار[1] .

(١) الأمصار : الأقطار والبلاد المختلفة واحدها (مِصْر) .

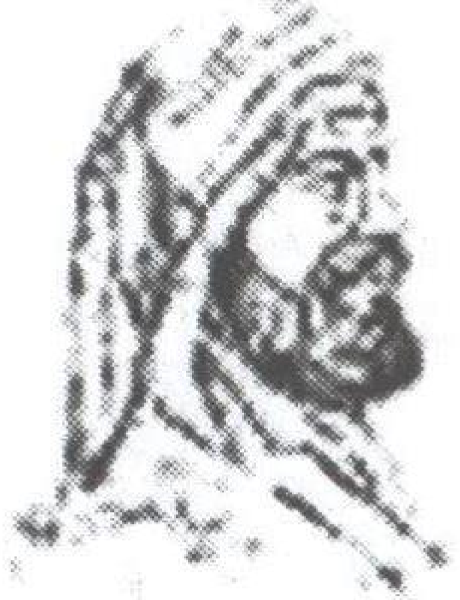

المهند : هل لي أن أسألك يا أبي عن الموارد التى كانت تعينه في هذه الرحلات ، وطلب العلم ؟

الأب : سؤال جيد يا ولدي ؟

كان الإمام أحمد محدود الموارد لكنه كان ينفق عن غَلَّة [1] حوانيت ودار تركها له أبوه وكانت ضئيلة تكفيه المعيشة بأدنى درجاتها وكان يرضى بها ، وكان رضي الله عنه نزيه النفس لا يأخذ من أحد لا قرضًا ولا هبة حتى إنه كان يرفض عطايا الأمراء .

المهند : قلت يا أبي : إنه عكف على جمع وتدوين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الأب : نعم يا بني .

---

(١) غلة حوانيت : أي ما تُدِرُّه عليه من دخل ، والحوانيت هى دكاكين كان يملكها .

المهند : وأين كتابه الذي دون فيه هذه الأحاديث ؟

الأب : جميل منك يا ولدي أن تسأل هذه الأسئلة التى تنم [١] عن ولد ذكي لقد ترك لنا الإمام أحمد يا ولدي كتابا عظيمًا اسمه (**المُسْنَد**) جمع فيه كل الأحاديث التى سمعها من أول طلبه للحديث أي سن السادسةَ عَشَرَةَ حتى وفاته .

المهند : ومتى تُوُفِيَّ يا والدي ؟

---

(١) تنم : تكشف

الأب : تُوُفِيَّ سنة ٢٤١هـ ، أي عَمَّرَ نحو سبع وسبعين سنةً قضاها رضي الله عنه في البرِّ [١] وجَمْعِ علمِ رسول الله ﷺ وعلم أصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين قضاها يا بني في نفع الناس .

المهند : حقاً يا أبي لقد شغل نفسه بشيء عظيم جداً ... إنه علم حديث رسول الله ﷺ .

المهند : رحمه الله رحمة واسعة يا والدي .

الأب : رحمه الله رحمة واسعة يا ولدي .... وجعلك ممن تسير على درب [٢] العلم والعلماء .

---

(١) البر : الخير .

(٢) درب : طريق